

التشيع في فلسطين

يتضح من كلام محمد بن عثمان بن علي الكراجي صاحب كنز الفوائد ونذيل الرملة في فلسطين - وقد عاش في القرن الخامس الهجري - على أن أهالي الرملة (قرب اللد) كانوا شيعة، على أنه قيل إن الرملة التي يحكي عنها هي في مصر. وكذلك الرحالة الفارسي ناصر خسرو في رحلته التي ابتدأت سنة ٩٤٣ هـ واجتاز فيها بفلسطين ووصل إلى طبريا ذكر أن السكان خارج مدينة طبريا هم من الشيعة، وتحديده المكان لمناسبة اقتضت ذلك، والا فالمقى بهم لم يكونوا منحصرين خارج مدينة طبريا. ورحلة ناصر خسرو كانت خلال العهد الفاطمي، وفي ذلك العهد كانت التشيع منتشرًا بكثرة في بلاد الشام كلها ومنها فلسطين. ويقول المقدسي في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم / ١٧٩) عن مذاهب الشام في القرن الرابع الهجري: «وأهل طبريا ونصف نابلس وقدس وأكثر عمَّان شيعة».

على أنه يبدو أن التشيع في فلسطين كان موجوداً في أواخر القرن الثالث، وإذا وجد في هذا الوقت يقيناً فلا يبعد أنه كان موجوداً قبله، فقد جاء في المجلد التاسع من (أعيان الشيعة)، ومصدره (عمدة الطالب) في ترجمة محمد بن حمزة من أحفاد العباس بن علي بن أبي طالب (ع): «واتخذ بمدينة الأردن وهي طبريا ضياعاً وجمع أموالاً فحسنه ظفر بن خضر الفراعنى فدس إليه جنداً قتلوه في بستان له بطبريا في صفر سنة ٢٩١ ورثته الشعراة، وكان عقبه بطبريا يقال لهم: بنو الشهيد» وسيأتي ذكر ذلك في كلام عبد الله مخلص الآتي.

وفي نهاية الحرب العالمية الأولى واحتلال الإنجليز لفلسطين، والفرنسيين لسوريا ولبنان، ألحقت بفلسطين بعض قرى جبل عامل الجنوبية كقرية هونين وقدس وصلحة وفارة وتربيخا، وهي قرى شعبية. على أن في فلسطين مشاهد لفريق من آل البيت يدل وجودها على تشيع عريق كان في تلك البلاد. وهذه المشاهد كما عددها عبد الله مخلص^(١) هي:

مشهد علي بن أبي طالب في الرملة

في ضاحية مدينة الرملة - وهي تقع بين بيت المقدس ويافا - وعلى قارعة الطريق المؤدي إلى مدينة لد وفي يسارها كرم مغروس بالأشجار المختلفة يستغله الوقف الإسلامي بتأجيره من الراغبين وهو مقيد بسجلات الأوقاف باسم وقف الإمام علي. ففي هذا الكرم قبة تحتها قبر ينسب للإمام علي بن أبي طالب (ع). وفي منتصف الطريق العام بين بيت المقدس ويافا وفي موضع يسمى باب الواد مقام مبني بالحجارة غير مسقوف يقال له مقام الإمام علي. ولكن هذا المقام وذلك المشهد لم يذكرهما أحد من الرحاليين المسلمين أو غيرهم، إلا أن لهم أعياناً موقوفة في أراضي مدينة الرملة تستثمرها إدارة الأوقاف في مدينة يافا.

مقام علي بن أبي طالب في نابلس

في مدينة نابلس مدفن واسع الجنبات يسمى رجال العامود يقع على الجادة السابلة من نابلس إلى بيت المقدس وعليه أبنية وقباب، وفي هذا المدفن مقام ينسب إلى سيدنا علي بن أبي طالب وصفه عبد الغني النابلسي المتوفي سنة ١١٣٤ هجرية في رحلته المسممة «الحضراء الأنسية في الرحلة القدسية» فقال: «ثم دخلنا إلى مكان في داخل ذلك المدفن ينزل إليه بدرج يقال له مقام الإمام علي (رضي الله عنه) في محراب وعليه جلاله ومهابة، فلعله رئي أما في المنام وأما في اليقظة باعتبار التجلی في عالم الأوهام فوقتنا ودعونا الله تعالى ثم خرجنا إلى تلك الجبانة فزرتنا ما فيها من القبور وحصلنا إن شاء الله على كمال الأجور».

مشهد علي بن أبي صالح في عكا

ذكر الهروي وباقوت الحموي أنه كان على عين البقرة في مدينة عكا مشهد ينسب إلى علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) حاول الأفرنج تحويله إلى كنيسة فلم يفلحوا وعاد بعد ذلك مسجداً للمسلمين. قلنا: ولا يوجد الآن على العين المذكورة مشهد أو مسجد.

مشهد الحسين بن علي بعسقلان

مدينة عسقلان كانت تنبع بعروش الشام كما كانت تنبع دمشق بهذا الإسم وقد هدم عسقلان صلاح الدين الأيوبي لئلا يستقر فيها الفرنجة وهي من التغور الحصينة وفي أوائل تلك الحروب الصليبية التي دارت رحاها في الأرض المقدسة ذكر أن مشهد الحسين بن علي في مدينة عسقلان إذ دخل الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالي وزير المستعلي بالله الفاطمي عسقلان في سنة ٤٩١ وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي فآخرجه وعطره وحمل في سقط إلى أجل دار بها وعمر المسجد فلما تکامل حمل الأفضل الرأس على صدره وسعى به ماشياً إلى أن أحله في مقره. وقيل إن المشهد الحسيني بناء أمير الجيوش بدر الجمالي وكمله ابنه شاهنشاه الأفضل وكان حمل الرأس إلى القاهرة ووصوله إليها يوم الأحد

ثامن جمادى الآخرة سنة ٥٤٨ هـ. كما ذكر ذلك محمد بن علي بن يوسف المعروف بابن ميسير الحلبى المتوفى سنة ٦٦٧ هـ. وقد ذكرت في تعليقاتي على كتاب «الاشارة إلى من نال الوزارة» طبع المعهد العلمي الافرنسي بالقاهرة ص ٥٧ أنه يستدل من تاريخ صنع المنبر للمشهد الحسيني بعسقلان أن ذلك المسجد أنشأه أمير الجيوش بدر الجمالى المستنصرى في سنة ٤٨٤ هـ وأقام فيه المنبر بعد إتمامه وليس من بناء ابنه الأفضل شاهنشاه أو إكماله كما ظن ابن ميسير الحلبى في روایته المقدمة.

بيد أن هذا المنبر نقل في خلال الحروب الصليبية من عسقلان إلى مدينة خليل الرحمن ووضع في مسجد سيدنا ابراهيم (ع) ولا يزال فيه وهو غاية في الإبداع والإتقان. وبما أن المنبر المذكور هو الوثيقة التاريخية لبناء مسجد عسقلان فرأينا أن ننقل نص مانقش فيه بالكوفى المشجر وهو ما يلى:

- ١- بسم الله الرحمن الرحيم: نصر من الله وفتح قريب لعبد الله ووليه معد أبي تميم الإمام.
- ٢- المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه البررة.
- ٣- الأكرمين صلاة باقية إلى يوم الدين، مما أمر بعمل هذا المنبر فتاه السيد الأجل أمير الجيوش.
- ٤- سيف الإسلام ناصر الإمام كاشف قضاة المسلمين وهادي دعاة المؤمنين أبو النجم بدر المستنصرى.
- ٥- عضد الله به الدين وأمنت بطول يقائمه أمير المؤمنين وأدام قدرته وأعلى كلمته للمشهد الشريف بغير.

٦- عسقلان مسجد مولانا أمير المؤمنين أبي عبد الله الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهما في شهور سنة أربع وثمانين وأربعين.
أما المشهد الحسيني بعسقلان فلا يزال مقصوداً بالزيارة وهو على نشر من الأرض يطل على أطلال المدينة.

مشهد سكينة بنت الحسين بطبرية

ذكر الهروي وياقوت أن قبر سكينة ابنة الحسين بظاهر طبرية وقالا: والحق أن قبرها بالمدينة المنورة وهو قول صحيح لغبار عليه، والرقيم التارىخي المثبت في الضريح يثبت أنه مشهداً لها ولعبد الله بن العباس بن علي رضي الله عنه إذ جاء فيه ما يلى:

بسم الله الرحمن الرحيم: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً». أمر بعمارة هذا المشهد المبارك وهو مشهد السيدة سكينة ابنة الحسين بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) العبد الفقير إلى الله تعالى فارس الدين البكي الساقى العادلى المنصورى نائب السلطنة بالمالك الصفدية والشريفية والساحلية وذلك في غرة رجب سنة أربع وتسعين وستمائة.

وإلى جانب هذا الرقيم رقيم آخر في ثمانية أسطر يتضمن أسماء وأوصاف أعيان الوقف التي

وقفها منشئ العمارة فارس الدين المذكور بين أراضي وبساتين وحواكير وكروم في مدينة طبرية نفسها. وقد أثار اهتمامي وجود قبر لسكينة وقبر لعبد الله بن العباس رضي الله عنهما في طبرية على أنهما لم يدفنا فيها، وأخذت أنتقصى الأخبار حتى عثرت على خبر ربما كان له صلة ببناء القبرين، وهذا الخبر قد ورد في السفر الرابع من كتاب «المغرب في حل المغرب»^(١) لعلي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد بن عمار بن ياسر العنسي الأندلسي المتوفي سنة ٦٧٣ هـ في فصل «العيون الدفع في حل بني طفح» على الوجه الآتي:

قال: ولم يزل طفح على دمشق وطبرية وابنه محمد المعروف بالإخشيد يخلفه على طبرية. وكان بطبرية أبو الطيب العلوى محمد بن حمزة بن عبد الله بن العباس بن الحسن بن عبيد الله بن العمار (كذا)^(٢) ابن علي بن أبي طالب صلوات الله عليه. وكان وجه طبرية شرفاً ولماً وقوة وعتاً، فكتب الإخشيد إلى أبيه طفح يذكر له أنه ليس له أمر ولا نهي مع أبي الطيب العلوى فكتب له أبوه أعز نفسك، فأسرى عليه محمد بن طفح وأبو الطيب في بستان له فقتله.

فالظاهر أن آل أبي طالب وشييعته لم يستطعوا سبيلاً إلى بناء ضريح للشريف المقتول غداً وغيلة من قبل السلطة الحاكمة الغاشمة، وقد تكون قتلت معه زوجه أو إحدى محارمه من سيدات آل البيت فقاموا على بناء ذلك المشهد في المكان الذي وقعت فيه الواقعة وتسبوه إلى سكينة بنت الحسين عبد الله بن العباس رضي الله عنهما يرمزون بذلك إلى الشريفيين المقتولين فإن المشهد المذكور يقع بضاحية مدينة طبرية وحوله آثار بئر وبركة وبقايا بستان.

وجاء بعد مئات من السنين الأمير فارس الدين البكى الساقى العادلى المنصوري نائب السلطنة بالملكة الصنفية فعمر المشهد المذكور ووقف عليه بعض الأعيان لبقاء عين الوقف دوام عمارته، والغريب أن أحداً من المؤرخين والجغرافيين والرحاليين لم يشر إلى هذا المشهد قبل الhero المتأول سنة ٦٦١ هـ. الذي كان أول من ذكره، وفي ذكره له أثبت وجود هذا المشهد قبل الأمير فارس الدين الذي تولى عمارته سنة ٦٩٤ هـ.

مقام السيدة سكينة بمدينة حيفا

كان في المحلة الغربية من محلات حيفا القديمة مقام ينسب إلى السيدة سكينة ابنة الحسين، وكان الناس يقصدون إلى زيارة هذا المقام والتبرك به حتى السنوات الأخيرة من الحكم العثماني. ولكن هذا المقام الذي كان في إحدى الدور المكشونة قد درس ولم يعرف مكان وجوده، إلا أن المحلة التي كان المقام يقع فيها لازالت تعرف باسم محلة السيدة سكينة وهي مسجلة بقيود الحكومة بذلك الاسم إلى الآن.

(١) هو الجزء الوحيد الباقى على وجه الدهر من الكتاب التفيس الذى تعاور تأليفه أفراد أسرة واحدة نحو مائة وخمس عشر سنة والنصف من الصفحة (١٤).

(٢) هو العباس كما مر.

مشهد عبد الله بن العباس بمدينة طبرية

جاء ذكر عبد الله بن العباس مقروناً باسم السيدة سكينة بنت الحسين في كتاب «الاشارات إلى معرفة الزيارات» للهروي ومعجم البلدان لياقوت الحموي، وقد تقدم الكلام على ذلك في مشهد سكينة بنت الحسين.

قبور فاطمة بنت الحسين بن علي

بالقرب من مسجد اليقين الواقع بأراضي قرية كفر بريك المعروفة الآن باسم بنى نعيم من أعمال مدينة خليل الرحمن قبر أم سلمة فاطمة بنت الحسين، وهو في مغارة ينزل إليها بأدراج عدتها أربع، والقبر على يسار الدار إلى المغارة وهناك رخامة كتب عليها بحروف نافرة من الخط الكوفي المشجر الذي كان يستعمله الفاطميون ما يأتى:

- صنعة محمد بن أبي سهل النقاش بمصر.
- بسم الله الرحمن الرحيم.
- لله العزة والبقاء وله ما ذرا.
- وبراً وعلى خلقه كتب.
- الفناء وفي رسول الله أسوة.
- وعزاء، هذا قبر أم سلمة.

- فاطمة بنت الحسين بن علي ابن أبي طالب (ع)^(١).

وعلى اليمين من صدر المغارة ثلاثة أبيات من الشعر منقوشة في رخامتين والثانية وضعت مقلوبة رأساً على الأعلى صحيحة التركيب في الحائط عقب وهذه هي:

بالرغم مني بين الترب والحجر	أسكتت من كان في الاحساء مسكنه
بنت الأئمة بنت الأنجل الزهر	يا قبر فاطمة بنت ابن فاطمة
ومن عفاف ومن صون ومن خفر	يا قبر ما فيك من دين ومن ورع

إن الرقيم الذي على القبر وأبيات الشعر المنقوشة في الرخامتين ذكرها الرحالة ابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩ هـ^(٢) كما ذكرهما العلمي الحنفي المتوفي سنة ٩٢٧ هـ^(٣)

أما مسجد اليقين فهو مبني على الموضع الذي كان وقف لوط عليه وهو ينظر من على إلى ما تم بقرىات لوط ورأى العذاب قد حل بقومه فسجد في هذا الموضع وقال: أيقنت أن وعد الله حق، والموضع الذي خسف بقومه هي البحيرة المنتنة كما ذكر ذلك الهروي وياقوت الحموي وقد أنشئ المسجد المذكور في الدولة الإخشيدية سنة ٣٥٤ هـ.

(١) فاطمة بنت الحسين دفنت في المدينة.

(٢) رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٢.

(٣) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج ١ ص ٦٧.

وقد لوط بقرية كفربريك التي يقع مسجد اليقين في أراضيها وهو ضمن مسجد كبير بالقرب من مسجد اليقين المطل على البحيرة المنتنة والتي تسمى أيضاً بحيرة زغز والبحر الميت وهي بحيرة شديدة الملوحة لا يعيش فيها حيوان ويستخرج منها الآن البوتاسي والأملاح المعدنية الثمينة الأخرى.

قباب السراج بمدينة الرملة

هو محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن موسى بن علي بن أبي طالب الذي يقال له ابن السراج وقد قال عنه محمد بن يوسف الكندي^(١) أنه مضى إلى الصعيد فخرج بشرونة وصار إلى غربى النيل فنها سمسطا وذلك في القعده سنة ٥٣٠هـ. ومضى على وجهه فلحق طريق الغرب فصار إلى سلطان افريقيا. ثم عاد فقال عنه^(٢).

وقدم محمد بن يحيى من المغرب يوم الاثنين ثامن عشر ربيع الآخر سنة ٥٣٥هـ. فأخبر به أنوجود بن الأخشيد) وتقدم إليه بالخروج واللحاق بالعسكر فخرج بعد أيام وتوفي بالرملة. قلنا: ولا يعرف له قبر الآن وذلك بسبب ما أصاب الرملة ومدن فلسطين الأخرى من مصائب الحروب الصليبية من هدم وتخريب وما مني به أهلها من ظلم وقتل وتشريد.

ضريح الفضل بن العباس ابن عم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

على يسار الذاهب من بيت المقدس إلى يافا وعلى قارعة الطريق المسلوك الذي يشق مدينة الرملة ضريح ينسب إلى سيدنا الفضل بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم الذي قضى نحبه في سبيل دينه وبالرغم من أن تاريخ وفاته ومكان دفنه لم يتفق عليهما العلماء فإن الأكثرين على أنه توفي بطاعون عمواس وهي قريبة من الرملة والقبر الوحيد المعروف له هو هذا الذي يقوم عليه ضريح كتب عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله، كل من عليها فان ويبقى (كذا) وجه ربك ذو الجلال والإكرام. هذا سيدى الفضل ابن العباس ابن عم رسول الله رضي الله عنه». ويحوار الضريح أرض تابعة لوقف الفضل أقيمت عليها مدرسة إسلامية يتعلم فيها أبناء المسلمين والأعيان الموقوفة على ضريح الفضل تحسب بألف الدونمات من الأراضي الجيدة و تستغلها الأوقاف الإسلامية.

قبور آل البيت في المملكة الأردنية الهاشمية «في الحميمة»

لقد ذكرت مشاهد آل البيت التي غشيتها ودرست أحوالها واستقصيت أخبارها في فلسطين ولم يبق من قبور آل البيت غير من دفنوا في قريتي الحميمة ومؤنة من أعمال المملكة الأردنية الهاشمية وقد كانت من أجزاء فلسطين التممة لها. ففي هذه القرية توفي: عبد الله بن محمد بن علي بن أبي طالب سنة ٩٨هـ.

(٢) كتاب الولاية وكتاب القضاة ص ٢٩.

(١) كتاب الولاية وكتاب القضاة ص ٢٩١.

في قرية المزار بالقرب من مؤتة

قبور جعفر بن أبي طالب الذي قضى سنة ثمان للهجرة موجود الآن في قرية تدعى المزار، وتعرف أيضاً بقرية جعفر وهي تبعد عن مؤتة نحو أربع ساعات على الفارس المجد وإلى جانب قبر جعفر قبر زيد بن حارثة الذي سبق جعفر بالشهادة وقبر عبد الله بن رواحة الذي لحقهما.

أما قرية الحميمة فلم أزرتها ولا أعرف إذا كانت قبور آل البيت لاتزال معروفة مصانة من العبث والضياع وهو ما لا أتوقعه بعد انقضاء هذه القرون الطويلة العريقة في القدم ولا سيما أن الحميمة الآن غير مأهولة.

أما قرية المزار فهي مأهولة ويقصد الناس إلى زيارة قبر جعفر فيها ولزيال المشهد الذي كان على قبره ووسع عمارته الملك الظاهر بيبرس ووقف عليه وقفًا زيادة على وقفه على الزائرين له والوافدين عليه^(١) لزيال قائمًا وهو مؤلف من غرف عديدة وأبهاء واسعة.

غزة هاشم

جريجي زيدان

غزة مدينة من مدن فلسطين قائمة في سهل رملي على ثلاثة أميال من شاطئ البحر الأبيض في جنوب فلسطين، وهي قديمة جداً كانت عاصمة آهلة قبل زمن ابراهيم الخليل، وقد جاء ذكرها في سفر التكوين «الاصحاح العاشر» في جملة حدود مملكة الكنعانيين. أقدم من ذكر التاريخ من سكانها قوم تسميمهم التوراة العوينين كانوا أقرب إلى البداويم مما إلى التمدن لأنهم كانوا منتشرين في غزة والسهول التي حولها حتى جاءهم الكفتوريون من الجنوب فاكتسحوا بلدتهم وخرجوهم منه نحو الشمال وأقاموا مكانهم، واتحد الكفتوريون مع الفلسطينيين وصاروا أمة واحدة كان لها شأن كبير في تاريخ فلسطين. وقد فتح الفلسطينيون غزة من أقدم أزمنة التاريخ ويزن أنها دخلت في حوزتهم قبل زمن ابراهيم أي منذ نحو أربعين قرناً واتخذوها حصناً منيعاً لأنها على حدود فلسطين عرضة لهجمات المصريين من الجنوب والعمالقة من الشرق، ولما حمل الاسرائيليون على أرض كنعان لم تدخل غزة في فتوحهم لكنها صارت بعدها من مملكتهم ودخلت في نصيب يهودا، ثم عاد الفلسطينيون ففتحوها عنوة واستبدوا في الاسرائيليين وقهروهم. حتى دخلها شمشون البطل المشهور وحبسوه بها ثم فر منها بعد أن اقتلع بابها على ماجاء في التوراة. ولزيال

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٧ ص ١٩٤.